الكميت بن زيد

شاعر العصر الطرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

التشيع

يقوم التشيع على أساس اعتقاد انحصار الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم في علي وقرابته من بني هاشم ، وهو بعد هذا ذو درجات مختلفة في الغلو والاعتدال ، فيصل في الغلو إلى حد تكفير الصحابة الذين حالوا بين علي والوصول إلى حقه في الخلافة ويصل في الاعتدال إلى حد الرضا عن الشيخين أبي بكر وعمر دون غيرهما ممن حكم بعدهما

وكان الكميت أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك ، وقد قال الجاحظ ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فان هي لم تصلح لحيّ سواهمُ فان ذوي القربى أحق وأوجب
يقولون لم يورث ولولا تراثهُ لقد شركت فيها بكيل وأرحب

وهو يرد في هذا على من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث كما يورث غيره ، فيقول إنه لو لا تراثه وأن آل بيته أحق بالخلافة لأنهم ورثته لكانت لتيمك القبيلتين وغيرهما من القبائل العربية نصيب في الخلافة ، وكان الناس كلهم سواء فيها

ولكن الكميت لم يكن يغلو في تشيعه إلى ذلك الحد من تكفير أصحاب رسول الله ، وكان يتورع في شعره عن لعنهم وإن كانوا مخطئين في نظره ، وهو إنصاف من الكميت لم يكن يعيبه عنه خصومة الرأي . ويظهر أن هذا الانصاف كان طبعاً له مع كل مخالفيه في الرأي ، وقد ذكرنا ما كان بينه وبين الطرماح ابن حكيم من المودة والألفة ، وكان الطرماح من شعراء الخوارج. ويجب أن نستثني بني مروان من هذا الاعتدال في خصومته ؛ لأنه كان يغالي في خصومتهم كغيره من الشيعة ، ولعل السبب في ذلك أن خصومتهم كانت هي القائمة في عهد الكميت ، أما خصومة غيرهم فكانت خصومة قديمة لا معنى لاحيائها والغلو فيها . وقد أفرط بنو مروان في خصومتهم لبني هاشم ، فأفرط الكميت في خصومتهم كما أفرطوا وغالى فيها كما غالوا .

وقد ذكر الكميت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في بعض هاشمياته فتحرج في أمرهما بعض التحرج ، وقال في ذلك :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ما ذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وكانت فدك قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهلها سنة سبع من الهجرة يدعوهم إلى الاسلام ، فصالحوه على نصف الأرض ، فقبل منها ذلك وصار نصفها خالصا له ، لأنه لم يوجف على ذلك بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق ما يأتيه منها على أبناء السبيل ، وفعل ذلك الخلفاء الراشدون بعده ، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لبنيه ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز ردها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله والخلفاء الراشدين ، فوليها أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ثم أخذت منهم بعده ، ثم ردها المأمون إليهم سنة عشرين ومائتين ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بها على فاطمة رضي الله عنها

وأما منع أبي بكر وعمر وفاطمة ميراثها فقد اعتمد فيه أبو بكر على ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » برفع صدقة على أنه خبر المبتدأ قبله ، والشيعة يروونه بالنصب على أنه حال لا خبر ، وتقدير الكلام على هذا — لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة — ويفهم من هذا أنهم يورثون غيره

وقال الكميت في ذلك أيضاً :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا
وهمٌّ معترى منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقما
وحزناً كان من جذل منوعا

لفقدان الخضارم من قريش
وخير الشافعين معاً شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالثانى
وكان له أبو حسن قريبا
حطوطاً فى مسرته ومولى
إلى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبى على اختيار
بما أعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم
أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها
فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن
أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لمعدل
إلى جور وأحظظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا
وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه
بلا ترة وكان لهم قريعا

فهو فى هذا أيضا يأخذ عليهم ما فعلوه فى الخلافة مع على رضى الله عنه ، ولكنه لا يصل فى أمره إلى لعنهم ، ولا يغمط ما كان لهم من العدل فى الحكم كل النمط ، وإن كان يرى أنهم أساءوا فى ذلك وضلوا عن الحق ، وهذا غاية ما كان يمكن أن يقوله الكميت فيهم لترضى تشيعه ، ويلائم بين شعره وعقيدته . وغدير خم موضع بين مكة والمدينة قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » وقال أيضا « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر رضى الله عنه : طوبى لك ياعلى ، أصبحت ولى كل مؤمن ومؤمنة

هذا ولا يزال المسلمون يتنازعون فى كتب الكلام على هذا النوال الذى لا يفيد شيئا فى هذا العصر ، وقد خرج الأمر من أيدى بنى هاشم وقريش جميعا ، ولا معنى لهذا النزاع بعد مضى تلك الأزمنة التى كان له معنى فيها ، ولكن الجمود على تلك الكتب هو الذى يجعلنا نقف عليها ، وإن كانت تزرع بين المسلمين حقدا يعقهم على بعض ، وتفرقهم أحزابا وشيعا فى وقت هم أحوج فيه إلى الاتحاد والتحاب . ولعل الله يرزق المسلمين من المصلحين من يجمع كلمتهم بعد افتراقها ، ويربى فيهم خلق الانصاف والتسامح ، حتى تصفو بينهم هذه الحياة ، ويسود بينهم الاخلاص والمودة ، ولا يحملون من اختلافهم فى الرأى سببا فى الانقسام والتفرق ، لأن هذا الخلاف لا بد منه ، وهو إذا خلا من ذلك الغلو توسعة ورحمة .

عبد المتعال الصعيدى

ظهر حديثا كتاب

سياسة الغد

برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى

تأليف

مرقص بك بطرس غالى

يطلب بالجملة من إدارة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب

الثمن بخلاف أجرة البريد